الباب الأول

التمهيدى

وتحته فصلان :

الفصل الأول : نبذة عن الفاروق .

الفصل الثانى : نبذة عن السياسة .

الفصل الأول

مع صاحب الأوليات

وتحته مباحث :

المبحث الأول

نسب الفاروق

لم يختلف العلماء فى نسب الفاروق رضي الله عنه من جهة أبيه فهو عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤى بن غالب القرشى العدوى [1] .

ولكنهم اختلفوا فى نسبه من جهة أمه ، بل فى جده لأمه فقط ، فبعضهم قال : إن أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقيل: بنت هشام ، وعلى هذا يكون أبو جهل خاله ؛ لأنه عمرو بن هشام بن المغيرة .

والصحيح أنها بنت هاشم بن المغيرة ؛ فهى بنت عم أبى جهل [2] فبنو مخزوم أخواله لأنهم أهل أمه ، وأهل المرأة أخوال بنيها كما هو معروف بين العرب ؛ فهو إذًا قرشى عدوى من جهة أبيه ، قرشى مخزومى من جهة أمه . وبنو عدى وبنو مخزوم من أهم أفخاذ قبيلة قريش الكبيرة التى كانت لها مكانتها المرموقة بين العرب ، خاصة قرب ظهور الإسلام ، لأن الله سبحانه وتعالى أراد أن ينزل كتابه بلغتها ، ويرسل رسوله منها ، ويهيئ الأولين من حملة الإسلام منها أيضًا ، أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسعد بن أبى وقاص ومصعب بن عمير وأبى عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووى القسم الأول ٢ : ٣ نشر شركة العلماء ـ بيروت .

(٢) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١٩ ط دمشق ـ نشر مكتبة السلام .

المبحث الثانى

مولد الفاروق ونشأته

اختلف العلماء فى مولد الفاروق رضي الله عنه وذهبوا فى ذلك ثلاثة مذاهب ، فقال بعضهم : إنه ولد قبل حرب الفجار [١] الرابعة بأربع سنين ، كما روى ذلك زيد ابن أسلم عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « ولدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين وذلك قبل المبعث النبوى بثلاثين سنة » [٢] قال هذا محمد رشيد رضا فى كتابه « عمر بن الخطاب » [٣] .

وبعضهم قال : « إنه ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة . قال ذلك النووى ـ رحمه الله ـ فى كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » [٤] .

وإذا علمنا بأن عام الفيل هو عام مولد رسول الله ﷺ وأن حرب الفجار الأعظم وقعت وعمره عشرون سنة ظهر لنا مدى اختلاف أقوال العلماء فى مولد الفاروق رضي الله عنه ولا نستطيع أن نجزم بصحة أحد هذه الأقوال على أساس ثبوت صحته ، إذ ليس لدينا ما يرجح قولاً على قول من حيث صحة الرواية .

ولكننا إذا نظرنا إلى هذه الأقوال بعين الفحص لنرى أيتها أقرب إلى الصواب نجد أن القول: بأنه ولد قبل حرب الفجار بأربع سنين هو الأقرب؛ إذ أننا لو أخذنا

---

(١) الفجار بكسر الفاء على وزن قتال ، هى الحرب الرابعة من حروب الفجار بين (قريش وكنانة) من جهة و(قيس عيلان) من جهة أخرى ؛ حضر رسول الله ﷺ الفجار الرابعة مع أعمامه وكان عمره حينذاك عشرين سنة ، وانتصرت فيه كنانة وقريش على قيس عيلان ؛ وسميت حرب الفجار لأن الجيشين استحلا القتال والمحارم فى الأشهر الحرم .

انظر : سيرة رسول الله ﷺ لابن كثير ١/ ٢٥٥، ٢٥٦ ط دار المعرفة ـ بيروت .

(٢) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى أبي الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى ت ٥٩٧ هـ ص ١٩، ط دمشق ـ مكتبة السلام .

(٣) انظر : (عمر بن الخطاب) لمحمد رشيد رضا ص ٨ ـ ٩ ط بيروت ـ دار الكتب العلمية .

(٤) انظر : تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول ٢ : ٣ ، ط بيروت ـ لبنان .

بالرواية التى تقول : « إنه ولد بعد حرب الفجار بأربع سنين وأسلم وعمره ست وعشرون سنة فإن سن رسول الله ﷺ فى هذا الوقت يكون خمسين سنة ومعلوم أنه قد أرسل وعمره أربعون سنة فيكون على هذا القول إسلام عمر سنة عشر من البعثة وهذا غير صحيح إذ وردت الروايات الكثيرة والمتوافقة بأنه أسلم فى السنة السادسة من البعثة [1] .

وإذا أخذنا بالرواية الثالثة : وهى أنه ولد بعد الفيل بثلاثة عشر عامًا وأسلم وعمره ست وعشرون سنة يكون سن رسول الله ﷺ فى هذا الوقت تسعًا وثلاثين سنة ، وهذا غير صحيح بل باطل ، إذ أن ذلك يكون قبل البعثة النبوية بسنة .

وهذا القول الذى اخترناه وهو : أنه ولد قبل حرب الفجار بأربع سنين هو أقرب الأقوال إلى الصواب بالنسبة للقولين الآخرين وإذا أخذنا بالقول : بأنه أسلم وعمره تسع وعشرون سنة [2] يكون ذلك أقرب إذ أنه يكون ـ على هذا القول ـ قد أسلم فى السنة الخامسة من البعثة . وهو قريب من القول : بأنه أسلم عام ستة من البعثة الذى عليه أكثر المؤرخين [3] .

أما نشأته رضي الله عنه فإنه قد نشأ فى مكة فى ظل أبيه الخطاب ، وقد كان الخطاب فظًا غليظ القلب ، فكان يكلفه بالشاق من العمل ، ويضربه ضربًا شديدًا إذا قصر فى ذلك العمل ، فقد كان بنو عدى من أوسط قبائل قريش قوة وجاهًا ، ولم تكن مضاهية لبنى هاشم أو بنى أمية ، أو بنى مخزوم ولكنها كانت على جانب كبير من العز والمنعة ، يدل على ذلك ما قاله أبوه الخطاب نظمًا عن بنى عدى حين توعده أبو عمرو بن أمية :

أيوعدنى أبو عمـرو ودونـى رجال لا ينهنهها الوعيد [4]

---

(١) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب للحافظ عبد الرحمن بن على الجوزى ص ٢٨ نشر مكتبة السلام العالمية ـ دمشق ؛ وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى ـ القسم الأول ٢/ ٤ .

(٢) انظر : أخبار عمر للطنطاويين على وناجى ص ١١ ، ط دار الفكر ـ بيروت ، ط ثالثة .

(٣) انظر : تأريخ عمر لابن الجوزى ص ٢٨ ، وتأريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤٢ ، وأخبار عمر للطنطاويين ص ٢٥ .

(٤) لا ينهنهها : أى لا يكفها ولا يخيفها وعيد. ترتيب القاموس المحيط للأستاذ الطاهر أحمد الزاوى ٤/ ٤٥٤ ط ثالثة ، دار الفكر ـ بيروت .

إلى أن قال :

ربيـــع المعـــــدمين وكل جـــار ... إذا نـزلـــت بهـــم ســـنة كـــؤود

هم الـرأس المقـدم من قـــريش ... وعند بيـــوتهم تلـقى الوفـــود

فكيف أخـــاف أو أخشى عـدوًا ... ونصـــرهم إذا أدعـــو عتيـد [1]

فلست بعـــــادل عنهم ســواهم ... طوال الدهر ما اختلف الجديد [2]

فهو يصف قومه بأنهم رجال لا يوهنهم توعد ، وأنهم موئل المعدمين من الناس ولو فى أشد السنين جدبًا ، وأنهم فى مقدمة قريش مجدًا ، وأنهم مهيأون دائمًا لنصر الداعى ، ولكنَّ الأبيات لا تسلم من مبالغة الشعراء فبنو عدى من قريش لم يكونوا فى المقدمة ، ولكنهم كانوا ذوى شأن لا بأس به عددًا وعُدة . فنشأ الفاروق بينهم وترعرع ، وكان قويًا مصارعًا [3] ، ذكيًا فطنًا ، تظهر فيه معالم العبقرية التى وصل إليها بعد أن عرف الحق فأسلم ، فظهرت تلك العبقرية فى أجلى معانيها .

---

(١) عتيد : حاضر مهيأ معد لأى داع مستنجد. انظر : المرجع السابق ٣/ ١٤٦.

(٢) انظر : الأبيات : عبقرية عمر للعقاد ص ٨٥ ، ط ١٩٦٩م ـ بيروت ـ دار الكتاب العربى. ولم أجدها فيما اطلعت عليه من المراجع القديمة ، لكن الأستاذ العقاد يتحرى أمانة النقل فى كتاباته ولو أنه لا يذكر المراجع التى رجع إليها إلا نادرًا .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٣٢٥.

المبحث الثالث

البيئة التى نشأ فيها ، وتأثيرها عليه ، ومنزلته بين القرشيين

سبق أن بيَّنا أنه نشأ بينَ قومه (بنى عدى) من قريش ، وهى قبيلة قريش الشهيرة التى كان لها وزنها فى مكة . بل بين العرب أجمعين .

وبيئة قريش كلها كانت واحدة ، فيها التفاخر بالأحساب والأنساب ، والولع الشديد بشرب الخمر ، وعبادةُ الأصنام ، والمباهاة بالقوة الطاغية التى تستعمل فى الشر غالبًا .

وكان يوجد مع ذلك شىء من الخير يتمثل فى إكرام الضيف ، ونصر المظلوم ـ أحيانًا ـ والشجاعة والوفاء وحسن الجوار . . وما يتصل بمكارم الأخلاق .

ولكن جانب الشر كان أقوى وأعم ، على رأس ذلك (الشرك) . نشأ عمر فى هذه البيئة بما فيها ، وتأثر بها كغيره من البشر وخاصة الغلمان والشباب ، فإنهم أكثر قابلية للتأثر بما حولهم وحمله والعمل به والتفانى فيه ، ولقد كان عمر كذلك فى جاهليته وقد كان يدافع عن عبادة الأصنام دفاعًا شديدًا ، فكان شديد الأذى للمؤمنين بالله حتى ظن بعض المسلمين أنه لم يُسلم ولن يلين حتى يسلم حمار أبيه ! قالت أم عبد الله بنت حنتمة : « لما كنا نرحل مهاجرين إلى الحبشة أقبل عمر حتى وقف علىّ وكنا نلقى منه البلاء والأذى والغلظة علينا ، فقال لى : « إنه الانطلاق يا أم عبد الله ؟ قلت : نعم ، والله لنخرجن فى أرض الله . آذيتمونا ، وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا فرجًا . فقال عمر : صحبكم الله . ورأيت منه رقة لم أرها قط ، فلما جاء عامر بن ربيعة ـ وكان قد ذهب فى بعض حاجته ـ وذكرت له ذلك ، فقال : كأنك قد طمعت فى إسلام عمر ؟ قلت له : نعم . فقال : إنه لا يُسلم حتى يُسلم حمار الخطاب ! » (١) .

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٣٥٥، ٣٥٦ ، ط مصر ـ نشر مكتبة الجمهورية .

ومع أن هذه القصة تُظهر عمر فى أحسن أحواله ـ فى الجاهلية ـ إلا أنها تبين مدى ما كان عليه من عداء وأذى وغلظة على المؤمنين بالله . وحقًا أن طمع أم عبد الله فى إسلام عمر كان فى محله؛ إذ أنها لم تر منه قبل ذلك مثل ما رأت من اللين والرحمة .

أما يأس عامر بن ربيعة فإنه ناتج عما يعرفه من عمر من مباعدة وعداء للإسلام والمسلمين .

وكان كل من يُظهر العداء ويزداد فى البعد عن الإسلام محترمًا فى قومه مباركًا عندهم فكان عمر كذلك !

وعمر بعبقريته وشخصيته القوية ، وما كان يتمتع به من الصفات وما يجيده من الكتابة والخطابة ، والمفاخرة ، كان ذا منزلة مرموقة بين سائر القرشيين فى الجاهلية فكان موكلاً بالسفارة لهم ، فإذا وقعت حرب بينهم وبين غيرهم ، أو نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه سفيرًا لهم للمفاوضة أو المنافرة [1] أو المفاخرة ، ورضوا به كلهم [2] .

كان هذا مركزَه بينهم كما تذكر كتب التواريخ ، وإذا علمنا أن قريشًا لم تخض حربًا بعد حرب الفجار الأعظم الآخر نعلم أنه لم يفاوض عن قريش فى حرب ولكنهم كانوا يرشحونه لذلك فيما لو حصل .

وكذلك إذا علمنا أن قريشًا كانت فى الذروة من الفخر بين العرب قاطبة ، وأنه لم ينافرها منافر ، ولم يفاخرها مفاخر عرفنا أن عمر لم ينافر عن قريش ولم يفاخر عنها ، ولكنه كان المفوض فى ذلك من قريش فيما لو حصل ذلك .

ولعل هذا كان نصيب بنى عدى من قريش ؛ إذ إنهم كانوا يتقاسمون المناصب الهامة فتختص كل قبيلة بشىء تقوم به أو تكون مهيأة له حتى إذا دعت الحاجة نهضت به .

---

(١) المنافرة : هى : المحاكمة فى المفاخر والحسب . . انظر : ترتيب القاموس ٤/ ٤١٣ .

(٢) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٢ ، وأخبار عمر للطنطاويين على وناجى ص ١١ .

المبحث الرابع

شخصية الفاروق

لا أريد فى هذا الإحاطة بشخصية الفاروق من جميع جوانبها فهى شخصية فريدة كما وصفه رسول الله ﷺ بأنه : (عبقرى) ففى الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « أريت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قليب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا والله يغفر له ؛ ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا فلم أر عبقريًا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن » رواه البخارى (١) .

وكما قالت عائشة رضي الله عنها : « كان والله أحوذيًا (٢) نسيج (٣) وحده » (٤) إن من يريد الكتابة عن شخصية الفاروق لا يدرى من أى باب من أبواب عظمة شخصيته يبدأ بالولوج إليها ؛ لأن كل باب يوصل إلى ساحة فسيحة يجد فيها الداخل أمورًا كثيرة لا ينتهى من الكتابة عنها بسهولة ويسر ، فإذا بدأت بباب صفاته الجسمية والعقلية ودخلت تجد العجب العجاب من الأوصاف النادرة فى البشر ، كيف لا وهو العبقرىُّ الأحوذىُّ نسيجُ وحده ؟! فطوله ، وضخامته ، وقوته ، وشدته ، وسرعته ، وصوته ، وهيبته ، وذكاؤه . . . صفات لا توجد

---

(١) انظر : صحيح البخارى ، فتح البارى ٧/ ٤١ ، ط المطبعة السلفية .

ومعنى القليب البئر : والعبقرى هو الذى يبلغ النهاية فى كل شىء ، وأصله أرض يسكنها الجن ، ضرب بها العرب المثل فى كل شىء عظيم. وقوله : « **يفرى فريه** » أى يعمل عمله ، قوله : « **حتى روى الناس وضربوا بعطن** » هو مناخ الإبل إذا شربت ثم رجعت. انظر فى هذا كله : ترتيب القاموس ٣/ ٦٧٢، ١٤٠، ٤٨٦، وفتح البارى ٧/ ٣٩ .

(٢) أحوذيًا : الأحوذى الخفيف الحاذق ، والمشمر للأمور القاهر لها ، لا يشذ عليه شىء. ترتيب القاموس ١/ ٧٣٤ .

(٣) نسيج وحده : لا نظير له فى العلم وغيره. انظر المرجع السابق ٤/ ٣٦١ .

(٤) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى وفيه : « من رأى ابن الخطاب علم أنه خلق غنى للإسلام ، كان والله أحوذيًا نسيج وحده ، قد أعد للأمور أقرانها ». انظر ٥/ ٢٧٨ .

فى كثير من البشر إنه نسيج وحده ، وما أكثر ما كتب عن هذه الصفات الكاتبون وأطالوا فيها وما ذلك إلا لصحة ما يجدون أمامَهم من حقائق عن شخصية الفاروق ، وحبِّهم له ، وقد يبالغ بعضهم فيخرج بذلك عن الجادة ، إذ يكفى عمر قول الحق فيه (١) .

علمه :

وإذا بدأت الولوج من باب علمه تجدك قد وصلت إلى ساحة فسيحة تجد فيها فنونًا من العلم والمعرفة على رأسها علمُه الواسع بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والفقه الواسع فيهما ، حتى إنه ليعلم متى وأين نزلت الآية والمراد منها ! .

عن طارق بن شهاب : قالت اليهود لعمر : إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا ، فقال عمر : « إنى لأعلم حيث أنزلت ، وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت . يوم عرفة وأنا والله بعرفة . قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] رواه البخارى(٢) .

وروى البخارى ـ أيضًا ـ أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا نائم شربتُ ـ يعنى اللبنَ ـ حتى أنظر إلى الرى يجرى فى ظُفرى ـ أو فى أظفارى ـ ثم ناولتُ عمر . قالوا فما أولته يا رسول الله ؟ قال : العلم » (٣) .

ولقد كانت رؤيا رسول الله ﷺ حقًا وتأويله لها صدقًا فهو الصادق المصدوق ، وتأريخ عمر يشهد بذلك والصحابة من حوله يشهدون ، قال ابنُ مسعود رضي الله عنه : « وإنى لأحسب عمر قد ذهبَ بتسعة أعشار العلم » (٤) !

---

(١) انظر : كتاب (حياة عمر) لمحمود شلبى فإنك تجد فيه كثيرًا من المبالغات ٢٧٨ . ولو لم يظهر صدق لهجة المؤلف وشدة حبه لعمر لقلنا إنه يفترى عليه كثيرًا ، فهو يطعن فيه وهو يحسب أنه يحسن صنعًا ؛ انظر ص ١٦، ١٧٤ مثلاً ؛ فإنه يقول فى الأولى عن إسلامه : إنه انقلابٌ من اليسار إلى اليمين ! ويقول فى الثانية عن عمل عمر بأرض العراق : فهو حل شيوعى من جانب ، رأسمالى من جانب آخر ! .

(٢) انظر : صحيح البخارى ، فتح البارى ٨/ ٢٧٠ ، ط سلفية .

(٣) انظر : المرجع السابق ٧/ ٤٠، ٤١ .

(٤) انظر : تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٧٦ .
وقال ابن مسعود أيضًا : « لو أن علم عمر بن الخطاب وضع فى كفة الميزان ووضع علم الأرض فى كفة لرجح علم عمر ». انظر : المرجع السابق الصفحة نفسها .
وانظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووى ـ القسم الأول ٢/ ٥ .

وأقرب معنى للعلم المقصود هنا العلم بالدين ، والعلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهذا هو العلم الذى ينالُ به الإنسانُ سعادة الدنيا والآخرة ؛ وهذا هو العلم الذى يفتح الآفاق لمعرفة كل ما يحتاجه المسلم فى حياته، فإنه إذا كان فهمه للدين صافيًا يدرك معنى العلم الصحيح ، ويدرك النعمة التى هو وإخوانه فيها، ويشعر باستعلائه بإيمانه وحاجة البشرية إليه لا حاجتُه إليهم. وهكذا كان عمر بفهمه وعلمه فهو القائل يخاطب أبا عبيدة : « إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله »(١) .

أما هيبته :

فإنها صفة قلَّ أن يشاركه فيها غيره من سائر الناس فلقد كان ذا هيبة فى الجاهلية ، وازدادت هيبته فى الإسلام ، إذ صارت حتى الشياطين تهابه لا لشخصه القوى ولكن لإيمانه وشدته على الباطل ؛ إذ الشياطين لا تهاب أحدًا من الناس لقوته فقط(٢) . فقوة جسمه وشجاعته التى كان يتصف بها كانت تكسبه مهابة عند الآدميين وخاصة غير المؤمنين ، لكنه لما اجتمعت إليه قوة الإيمان مع قوة الشكيمة ازدادت هيبته وبدأ يلمع ذكرُه حتى أصبح خليفة ـ رسول الله الثانى ـ ذلك بما قدم من الأعمال للإسلام وما كان يتصف به من قوة الإيمان والحب لله ولرسوله وللمؤمنين .

وأخبار الفاروق عن هيبته كثيرة لا تتسع لها هذه العجالة،لكنى سأقف عند قول سيد الخلق فيه محمد ﷺ ، كما روى البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال : « استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ ، وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٦٠ .

(٢) ولو كانت قوة الجسم تخيف الشياطين لكان عمر فى جاهليته مخيفًا للشياطين طاردًا لهم ؛ إذ كان فى جاهليته شابًا يافعًا ، فكان الشيطان أقرب إليه من كثير من الشباب ؛ إذ كان يوقعه فى الخمر وكبائر الذنوب ، وما كان لقوته الجسمية أثر فى دفع الشيطان .

يضحك ؛ فقال : أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبى ﷺ : « عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر : فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ﷺ . ثم قال عمر : يا عدوات أنفسهن : أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ فقلن : نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال : رسول الله ﷺ : « إيهًا [1] يا ابنَ الخطاب ، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك » [2] ! ففى هذا الحديث دليل واضح على مهابة عمر عند الجن والإنس ، فهؤلاء النسوة اللاتى كن يرفعن أصواتهن ويستكثرن دون خوفٍ ولا هيبة من رسول الله ﷺ لما يعلمْنه من رحمته بالناس أجمعين ورفقه بهم مهما جهلوا ، يخفن من عمر حين يسمعن صوته فيقفن عن الكلام ويبتدرْن الحجاب هيبة من عمر وخوفًا من بطشه بهن لما فعلن عند رسول الله ﷺ والشياطين حينما تلقاه فى طريق مهما كان اتساعُه لا تجرؤ أن تسير فى نفس الطريق خوفًا ورهبة من عمر ، وأى هيبة بعد هذه ؟!

ولا شك أنَّ هذه الهيبة من أهم صفات الشخصية العظيمة ، ولقد كانت هيبةُ عمر سلاحًا قويًا على الكافرين والمنافقين وأهل الزيغ والباطل ، سواءٌ كان فى عهد رسول الله ﷺ أو فى عهد أبى بكر ﷺ أو فى عهده فى خلافته ، وقد كان لدرته ـ العصا الصغيرة ـ هيبةٌ أكثر من سيوف مَن سواه ! كما قال محمد بن عمرو بن علقمة [3] .

تلك صفة كانت فى الفاروق لم تكن بسبب قهره الناس ، ولا بسبب الحكم الذى تبوأه عشر سنين على أعظم دولة فى الأرض فهو وإن كان ـ فى عهده ـ أقوى رجل فى الأرض فإنه لم يصبه الغرور ، ولم يستغل منصبه ذلك فى غير

---

(١) أيهًا يا ابن الخطاب : بالفتح والتنوين من إيهًا معناها لا تبتدئنا بحديث ، وبغير تنوين : كف من حديثٍ عهدناه ؛ وإيهِ بكسر الهمزة والتنوين ، معناها : حَدِّثنا ما شئت ، وبغير تنوين : زدنا مما حدثتنا ، والمعنى المناسب هنا : كُفَّ عن لومهن ، وهو يتفق مع المعنى القائل : كف من حديثٍ عهدناه فالحديث المعهود هو توجيه عمر اللوم لأولئك النسوة .

(٢) انظر : صحيح البخارى ، فتح البارى ٧/ ٤١ . والفج : هو الطريق الواسع. انظر فى هذا المعنى ، ومعنى إيهًا ، ترتيب القاموس ٣/ ٤٤٩، ١/ ٢٠٤ .

(٣) انظر : تأريخ المدينة لأبى زيد عمر بن شبَّة النميرى البصرى ت ٢٦٢هـ ٢/ ٦٨٦ جدة .

طاعة الله ، ولم يزدد إلا تواضعًا وزهدًا وورعًا ، وما كانت هيبته إلا لصفاء سريرته وعدله ، وشدته فى دحض الباطل ومحاربة كل انحراف .

وكان حينما يرى الناس يهابونه ويفرقون منه يزداد خوفًا من الله تعالى ! عن القاسم بن محمد قال : بينما عمر ذاتَ يومٍ يمشى وخلفه عدة من أصحاب رسول الله ﷺ ؛ إذ بدا له فالتفت فما بقى منهم أحد إلا وجب [1] لركبتيه ساقطًا . قال : فأرسل عينيه بالبكاء ثم قال : « اللهم إنك تعلم أنى منك أشد فرقًا منهم منى » [2] .

ولما كان يعرف أنه مهاب بين الناس كان يعتبر ذلك نعمة من الله ما دام لم يظلم أحدًا ولم يطغ على أحد ، ولم يحرم أحدًا حقًا . (لقيه رجل من قريش فقال : لِن لنا فقد ملأت قلوبنا مهابةً . فقال : أفى ذلك ظلم ؟ قال : لا ، قال: فزادنى الله فى صدوركم مهابةً) [3] . فما دامت هذه الهيبة خالية من الظلم والجور وفرض الخوف على الناس فرضًا ، فلا خوف إذًا ، بل ذلك فضل مِن الله ومنة منه .

تلك بعض صفات شخصية عمر التى تدل على شخصيته النادرة ؛ وكثير غيرها من الصفات تركناها ؛ لأننا لسنا فى صدد الكتابة عن تأريخ عمر ، ولكنها لمحة مختصرة تذكرنا بتلك الشخصية العظيمة الجديرة بالدراسة وتتبع أعمالها الجليلة للاستفادة علمًا وعملاً .

---

(١) وجب : أى وقع .

(٢) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

المبحث الخامس

إسلامه وأثره على الإسلام والمسلمين

كان إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزًا للإسلام والمسلمين ؛ انتقل المسلمون بعد إسلامه من السرية إلى الجهرية ، ومن الذلة إلى العزة كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر » رواه البخارى (١) .

« لقد كان عمر فى جاهليته وعنجهيته من أشد قريش على المسلمين ؛ ذلك لأن من طبع عمر أنه إذا ذهب مذهبًا أوغل فيه ، وإذا نصر حزبًا أو أيد فكرة بذل فى ذلك جهده كله ، وهذا دأب المخلصين فى كل زمان ومكان » (٢) .

حقًا لقد كان عمر كذلك ، وكان رسول الله ﷺ يعرف ذلك تمامًا فكان يطمع فى إسلامه ، أما بعض الصحابة فكان يرى إسلام عمر من المستحيلات كاستحالة إسلام حمار الخطاب ! ذلك لما كانوا يلاقون منه من عداءٍ وبلاء .

لكن رسول الله ﷺ وهو الخبير بالنفوس ومعادنِ الرجال كان يدعو الله ويلحُّ بالدعاء : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب ، أو بأبى جهل بن هشام وكان أحبَّهما إليه عمر بن الخطاب » (٣) .

استجاب الله دعوة رسوله واختار له عمر بن الخطاب وكان الله قادرًا أن يهديهما جميعًا ، ولكن لعلمه وحكمته هدى عُمر وأضل عمرو بن هشام « أبا جهل » وكأن رسول الله ﷺ قد علم أن أحد الرجلين سيستمر فى غيه ولن يهتدى أبدًا لكنه لا يعلم من هو ، فلم يدعُ الله أن يهدى الرجلين معًا ويعز بهما الإسلام ، وكان كل منهما أبرز رجل فى قبيلته ، فعمر بن الخطاب أقوى بنى عدى ، وعمرو بن هشام أقوى وأبرز رجال قبيلته بنى مخزوم .

---

(١) انظر : صحيح البخارى ، وفتح البارى ٧/ ٤١ ، المطبعة السلفية .

(٢) من كلام على الطنطاوى فى الفاروق. انظر : كتابه (أخبار عمر) ، ص ١٥ .

(٣) انظر: فتح البارى ٧/ ٤٨ . قال الحافظ ابن حجر فى الحديث: أخرجه الترمذى من حديث ابن عمر، وقال: حسن صحيح ، وقال الحافظ : وصححه ابن حبان أيضًا. وانظر تاريخ عمر لابن الجوزى ، ص ٢٢ .

ولما أراد الله إسلام عمر هيأ له السبب فكان أول ما وقع فى قلبه من تصديق بالرسول والإسلام أنه كما قال : (خرجتُ أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أُسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمتُ خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلتُ أعجب من تأليف القرآن ، قال : فقلت هذا والله شاعرٌ كما قالت قريش ، قال: فقرأ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) ﴾ قال : قلت : كاهن . قال : ﴿ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ ... ﴾ إلى آخر السورة فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع » رواه أحمد (١) .

أما صفة إسلامه وأسبابه ذلك فقد تعددت الروايات فيها ؛ أشهرها أربعة أقوال :

القول الأول :

عن ابن عباس قال : (سألتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأى شىء سميت الفاروق ؟ فقال : أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام ، ثم شرح الله صدرى للإسلام . فقلت : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨) ﴾ [طه] . فما فى الأرض نسمة (نفس) أحبَّ إلىَّ من نسمة رسول الله ﷺ . فقلت أين رسول الله ؟ قالت أختى . هو فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ... فأسلم ... وخرج المسلمون بعد إسلامه فى صفَّين يقود الصف الأول هو ، ويقود الصفَّ الآخر حمزة عمّ رسول الله ﷺ ورسول الله فى الوسط، ويومذاك سماه رسول الله الفاروق).

القول الثانى :

عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : قال لنا عمر بن الخطاب: أتحبون أن أعلمكم أولَ إسلامى ؟ قلنا نعم قال : كنت من أشد الناس على

---

(١) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٢، ٢٣ . وانظر : تفسير القرآن لابن كثير عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى ت ٧٧٤هـ ط دار الفكر ـ بيروت ٧/١٠٨ ، ط ثانية. وقال ابن كثير فهذه من جملة الأسباب التى جعلها الله تعالى مؤثرة فى هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

رسول الله ، فأتيت النبى ﷺ فى دارٍ عند الصفا فجلست بين يديه ، فأخذ بمجمع قميصى ثم قال : أسلم يا ابن الخطاب اللهمَّ اهدِه ، قال : فقلت : أشهد أن لا إله إلا اللهُ وأنك رسول الله . . . [1] . إلى آخر الرواية .

القول الثالث :

عن جابر رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب : كان أول إسلامى أن ضرب أختى المخاضُ فأخرجتُ من البيت ، فدخلتُ فى أستار الكعبة فى ليلةٍ قارة فجاء النبى ﷺ فدخل الحجر وعليه نعلاه فصلى ما شاء الله ، ثم انصرف قال : فسمعت شيئًا لم أسمع مثله ، قال : فخرجت فاتبعته فقال : من هذا ؟ قلت عمر : قال : يا عمر ما تتركنى ليلاً ونهارًا فخشيتُ أن يدعوَ علىَّ فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، قال : يا عمر استره ، قال : فقلتُ : والذى بعثك بالحق لأعلنه كما أعلنتُ الشرك .

القول الرابع :

عن أنس بن مالك . قال : خرج عمر متقلدًا السيفَ فلقيه رجل من بنى زهرة فسأله : أين تعمد يا عمر ؟ قال : أريد أن أقتل محمدًا ، قال : وكيف تأمن من بنى هاشم ، وبنى زهرة [2] وقد قتلت محمدًا ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذى كنت عليه ؛ قال أفلا أدلك على العجب ؟ إن أختك وختنك (صهرك) قد صبوا ، وتركا دينك الذى أنت عليه ؛ فمشى عمر ذامرًا (متهددًا) حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين فقال : ما هذه الهيمنة (الصوت الخفى) التى سمعتها عندكم ؟ قال : وكانوا يقرؤون (طه) [3] إلى آخر الرواية التى تقول إنه أسلم بعد البطش بأخته وزوجها ، فلما رأى ما بها من آثار البطش وشدة تمسكهما بالإسلام تراجع فطلب الصحيفة فقرأ القرآن فدخل الإسلام فى قلبه فأتى دار الأرقم فأسلم .

---

(١) انظر هذه الرواية فى : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٤ ، وكذلك الرواية الأولى ، ص ٢٤ .

(٢) بنو زهرة أخوال رسول الله ﷺ .

(٣) انظر هذه الأقوال الأربعة فى تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى فى ص ٢٣ ـ ٢٨ وسيرة الرسول لابن هشام ١/ ٣٥٥ ـ ٣٦٢ . سرد بعض هذه الأقوال بألفاظ تختلف قليلاً .

وانظر : عمر الفاروق لمحمد رشيد رضا ، ص ١٠ ـ ١٧ ، ط ثانية ـ بيروت .

هذه الأقوال الأربعة ، على ما فيها من اختلاف فى الأسباب والألفاظ كلها تؤدى معنًى واحدًا هو بحث عمر عن الحق وحملُه بعد اقتناعه به وذلك استجابة لدعوة رسول الله ﷺ له وإرادة الخير له ، وإعزازًا للإسلام والمسلمين بإسلامه.

أثر إسلامه على الإسلام والمسلمين :

لقد كان الفاروقُ متممًا للعَدد أربعين ممن سبقه من المسلمين ـ كما تقول كثير من الروايات (١) .

وقد رُوى أنه بعد إسلامه نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) ﴾ [الأنفال] .

روى هذا عن سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، ويظهرُ أن هذا القول غير صحيح ؛ إذ إن الآية مدنية وإسلام عمر كان فى مكة قبل مدة من الهجرة وسورة الأنفال نزلت بعد سنتين من الهجرة أى بعد قرابة تسع سنين من إسلام عمر ﷺ(٢).

وإننى لألمح فى العدد أربعين ميزة لا توجد فى غيره من الأعداد ، فالنبوة لا تكون إلا بعد بلوغ الأربعين ، وموسى ـ على نبينا وعليه السلام ـ لما واعده ربه ثلاثين ليلة، أتمها له بعشر حتى تم الميقات الأفضل أربعين ليلة فكلمه بعدها(٣) ؛ وسن الأربعين سن النضوج الكامل للعقل والجسم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾ [الأحقاف] .

قال ابن كثير : أى تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه (٤) .

وعمر لما تم الأربعين بإسلامه لا يعنى أنه استمد القوة والتأييد من الله بسبب ذلك ، ولكنها من الموافقات العمرية للفأل الحسن .

---

(١) انظر : تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ٢٨ . وعمر الفاروق لمحمد رضا ص ١١ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣، ٤ ، وفتح البارى ٧/ ٤٨ .

(٢) نقل هذا القول محمد رضا فى كتابه (عمر الفاروق) عن ابن عباس انظره ص ١١ ، ورد هذا القول ابن كثير فى كتابه التفسير ٣/ ٣٤٤ ، ط بيروت .

(٣) انظر الآية فى سورة الأعراف الآية ١٤٢ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٦/ ٢٨١ .

وما إن أسلم الفاروق حتى بدأ بالتفكير كيف يعلن الإسلام كما كان يعلن الكفر ، وكيف يحميه وينافحُ عنه ، كما كان يحمى الكفر ويتعصب له ، وكيف يتعرض للأذى كما تعرض له من سبقه فى سبيل الإسلام والإيمان .

فقال بعد نُطقه بالشهادتين: «يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال : بلى ؛ والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم . قال عمر : قلت : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لنخرجن فأخرجناه فى صفين ، حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر له كديد [1] ككديد الطحين ، حتى دخلنا المسجد ، قال : فنظرت إلىَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها فسمانى رسول الله ﷺ (الفاروق) يومئذ » [2] .

وهو جدير بهذا الاسم الذى لم ينله أحد من قبله ولا حتى حمزة بن عبد المطلب الذى كان يساويه فى قوة الشكيمة وشدته على الكفر والكافرين فازداد الإسلام بإسلام عمر ظهوراً وانتشاراً ؛ إذ كان الناس يعرفون منزلة عمر ، ويعرفون كراهيته للإسلام والمسلمين ، وكيده لهم فكيف رجع عن الغى الذى كان فيه ، وحمل الإسلام بهذه القوة التى لم تُعهد من قبل ، والإخلاص الذى بلغ حد التضحية بالنفس ، فما من شك أنه كان قويًا من قبل ولكنه لم يصل فى إخلاصه للكفر أن يضحى بالنفس ، فإنه كان قادراً أن يبطش بأحد المسلمين البارزين قتلاً بل برسول الله ﷺ إذ لم يكن قد عصم من الناس وكان يمشى وحده ، وكثيراً ما كان يتعرض له عمر الفاروق ولكنه لم يتماد بالقتل ذلك أنه يعرف أنه ليس متروكًا إن فعل ذلك ونفسه أحب شىء إليه ، ولن يتركه بنو هاشم وبنو زهرة .

لكنه بعد إسلامه أصبح يقول : ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ فهو بعد فترة وجيزة يرى أنه لو مات على الحق فلا أسف بل ذلك هو الفوز العظيم .

بذل وقته بل حياته كلها فى سبيل إعزاز الإسلام . ولقد كان يتعرض لأعداء

---

(١) الكديد : التراب الناعم ، إذا وُطئ ثار غباره كالطحين المدقوق .

(٢) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٤ .

الإسلام حتى يضرب ويُضرب ويلاقى ما لاقى الضعفاء ، وحتى يُتم الله أمره ، فحينما أسلم وأراد أن يبلغ إسلامُه كل أذن بحث عن أكثر الناس نشرًا للأخبار فدلوه على رجل فيه تلك الصفة ، قال : « فدنوت منه فأصغيت إليه فيما بينى وبينه . فقلت : أعلمت أنى صبوت فقال (أى الرجل) : ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ فما زال الناس يضربوننى وأضربهم . فقال خالى [1] . ما هذا فقيل ابن الخطاب فقام على الحجر فأشار بكمه فقال : ألا إنى قد أجرتُ ابن أختى، فانكشف الناس عنى ، وكنت لا أشاء أن أرى أحدًا من المسلمين يضرب إلا رأيته وأنا لا أضرب ، فقلت : ما هذا بشىء حتى يصيبنى مثل ما يصيب المسلمين فأمهلت ، حتى إذا جلس الناس فى الحجر وصلت إلى خالى ، فقلت : اسمع ، فقال : ما أسمع ؟ قلت : جوارك عليك رد ؟ فقال : لا تفعل يا ابن الخطاب ، قلت : بل هو ذاك ، فقال : ما شئت ، فما زلت أضرب حتى أعزّ الله الإسلام [2] » بقى الفاروق على هذه الحال حتى هاجر من مكة إلى المدينة ، ولقد كانت هجرته مختلفة عن غيره ، فلقد هاجر جهرًا متحديًا جموع قريش وهاجر غيره متخفيًا ومعه عذره .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « كان إسلام عمر فتحًا ، وكانت هجرته نصرًا ، وكانت إمامته رحمة ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نُصلى فى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا » [3] .

وقال حذيفة بن اليمان : « لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قُربًا ، فلما قُتِل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدًا » [4] .

---

(١) المراد بخاله هنا أبو جهل عمرو بن هشام وهو ليس خاله أخا امه ولكنه ابن عم أمه. وقيل : هو العاص ابن وائل السهمى فقد كانت جدة عمر لأمه من بنى سهم فأهل الأم كلهم أخوال كما كان رسول الله ﷺ يعتبر كل بنى زهرة أخواله ، وكذلك بنى النجار من الأنصار .

(٢) انظر : أسد الغابة ٤/ ٥٥، ٥٦ لابن الأثير. ط قديمة لم يذكر فيها تاريخها ولكن ينظر حرف العين بعدها الميم. وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٤، ٢٥. وانظر الفاروق عمر لمحمد رضا ص ١٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١١٥، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ .

(٤) انظر : تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٤ ، والطبقات لابن سعد ٣/ ٣٧٣ .

ولله در حافظ إبراهيم إذ يقول :

قد كنت أعدى أعاديها فصرتَ لها ... بنعمة الله حصنًا من أعاديها

خرجت تبغى أذاها فى محمدها ... وللحنيفة جبارٌ يواليها

فلم تكد تسمع الآيات بالغة ... حتى انكفأت تناوى من يناويها

سمعت سورة طه من مرتلها ... فزلزلت نية كنت تنويها

وقلت فيها مقالاً لا يطاوله ... قول المحب الذى قد بات يطريها

ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت ... عن كاهل الدين أثقال يعانيها [1]

(١) ديوان حافظ إبراهيم بك ت ١٩٣٢م ص ٧٩ ، ٨٠ ، ط دار العودة ـ بيروت .

المبحث السادس

عبقرية عمر رضي الله عنه

ما هو العبقرى ؟

العبقرى : كل شىء بلغ النهاية ، والعبقرى : النافذ الماضى الذى لا شىء يفوقه ، والعبقرى : سيد القوم وقيِّمهم وكبيرهم (١) .

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبقريًا حقًا بهذه المعانى كلها ! فإنه قد وصل فى كل ما تحتاجه الزعامة والقيادة المثلى إلى درجة لم يصلها غيره من بعده. لقد كان عبقريًا فى سياسته ، عبقريًا فى إدارته ، عبقريًا فى حربه وسلمه ، عبقريًا فى علاقته مع الأقربين والناس أجمعين ، يعجز أى قائد أن يعمل مثل عمله . عبقريًا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت له أعماله وصفاته !

شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له بالعبقرية ؟

فى صحيح البخارى ، من حديث عبد الله بن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا فلم أر عبقريًا يفرى فريه . . . » (٢) .

يقول العقاد(٣): «ولنا أن نفسر العبقرية بمعناها الذى يفهمه الأقدمون، أو معناها الذى نفهم ـ نحن المحدثين، فكلا المعنيين(٤) مستقيم فى وصف عمر بن الخطاب، أتراها على كلا المعنيين شيئًا غير التفرد والسبق والابتكار ؟ كلا ، ما للعبقرية

---

(١) فى القاموس المحيط ٢/ ٨٦ ، العبقرى : الكامل من كل شىء ، السيد الذى ليس فوقه شىء ، الشديد. وأشار إلى هذه المعانى ابن حجر فى الفتح ٧/ ٣٣، وصحيح مسلم بشرح النووى فى شرح مسلم ١٥/ ١٦١ .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٧/ ٣٣ ، وصحيح مسلم للنووى ١٥/ ١٦١ . ومعنى : يفرى فريه : أى يعمل عمله ، شرح صحيح مسلم للنووى ١٥/ ١٦٢ . والضمير فى : « استحالت غربًا » يعود إلى الدلو المذكور فى صدر الحديث .

(٣) عبقرية عمر : لعباس محمود العقاد ، ص ١٧ ، ط. دار الكتاب العربى ، بيروت .

(٤) ذكر المؤلف فى ص ١٨ المعنى عند الأقدمين للعبقرية وهو : الفراسة والخبرة ، وعند المحدثين : العلم .

مدلول يخرج عن صفة من هذه الصفات ، ومن يكتب تأريخ عمر فقد يجد فى النهاية أنه يكتب تأريخًا لأول من صنع كذا وأول من أوصى بكذا ، حتى ينتهى بسرد هذه الأوليات إلى عداد العشرات) .

نعم صدق العقاد ، ولكن أوليات عمر لا تبلغ العشرات فحسب ، بل تبلغ المئات ، ولذلك فقد اخترت أن أكتب فى بعض هذه الأوليات ، وهى من أعظم الأدلة على عبقرية عمر ، بل هى العبقرية ذاتها !

إننا حينما نقرأ عن صفاته نجد منها : أنه قوى ، شديد ، شجاع ، بالغ الطول ، جهورى الصوت ، ذو فراسة صادقة ، عادل ، وهل هذه إلا صفات العباقرة ! وحينما نفتش عن أولياته نجد أن كل واحدة من هذه الأوليات تدل على عبقريته التى لا يصل إليها أحد .

وصف بعض الصحابة له :

قالت عائشة رضي الله عنها : كان والله أحوذيًا نسيج وحده [1] .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : ما رأيت أحدًا قط ـ بعد رسول الله ﷺ من حين قُبِض ـ أجدّ ولا أجود من عمر [2] .

هكذا تصفه عائشة ـ أم المؤمنين ، وهكذا يصفه ابنه البر الأمين .

وما وصفاه إلا ببعض جوانب العبقرية التى اتسم بها ، وإن كانا وصفاه بأهم أوصافها .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٢٠ . ومعنى «احوذيًا»: الخفيف الحاذق ، والمشمر للأمور، القاهر لها لا يشذ عليه شيء. ومعنى « نسيج وحده » : لا نظير ل فى العلم وغيره : القاموس المحيط ١/ ٢١٧ .

(٢) البخارى بشرح فتح البارى ٧/ ٤٠ . وقال فى الفتح ـ فى شرح هذا الحديث : أى لم يكن أحد أجد منه فى الأمور ولا أجود بالأموال ، وهو محمول على وقت مخصوص وهو مدة خلافته ؛ ليخرج النبى ﷺ وأبو بكر من ذلك .

المبحث السابع

أهلية عمر رضي الله عنه للاجتهاد

لقد عرَّف علماء أصول الفقه الاجتهاد بأنه فى الاصطلاح : استفراغ الوسع فى طلب الظن بشىء من الأحكام الشرعية على وجه يحس فى النفس العجز عن المزيد عليه [1] .

(والمجتهد هو الفقيه المستفرغ لجهده «لوسعه» لتحصيل ظن بحكم شرعى)[2].

واشترطوا للمجتهد شروطًا من أهمها : العقل، والبلوغ، والعلم بنصوص الكتاب والسنة ، وبالإجماع ، والناسخ والمنسوخ ، وبعلوم العربية ، وبأصول الفقه[3].

وإذا استعرضنا هذه الشروط لنعرف أين هى من عمر ـ ولا أقول أين عمر منها ! نجده فوق بعضها ، وقد أخذ من بعضها الآخر أكثر من غيره من العباقرة والعظماء ، غير النبيين والصديق أبى بكر رضي الله عنه فهو مجتهد قبل ظهور كثير من هذه الشروط ـ كالإجماع ، والناسخ والمنسوخ ، وعلوم العربية ، وأصول الفقه .

لماذا ؟ أما بالنسبة للإجماع فإنه فى عهد عمر رضي الله عنه ما كان قد عرف شىء اسمه الإجماع يرجع إليه ـ كمصدر من مصادر التشريع ، بل كان كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، ثم الاجتهاد ، واستعمال الرأى ، والقياس، والتشاور[4] ، ولو أن هذا التشاور كان يؤدى ـ أحيانًا ـ إلى إجماع فى بعض المسائل .

وأما الناسخ والمنسوخ فإنه لم يكن ـ أيضًا ـ قد دوَّن هذا الفن من علوم القرآن والحديث ، ولكن عمر قد كان قبل هذا التدوين ؛ لأنه قد عاش فى ظل الوحى وهو ينزل على رسول الله ﷺ ويحفظ منه ويفهم فهم العبقرى .

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام : لسيف الدين أبى الحسن على بن أبى على بن محمد الآمدى ٥٥١ ـ ٦٣١هـ ٤/ ١٦٢ بتعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفى ، الطبعة الأولى ، مؤسسة النور .

(٢) إرشاد الفحول : لمحمد بن على الشوكانى ت ١٢٥٥هـ ، ص : ٢٥٠ ، ط أولى ، الحلبى ، مصر .

(٣) انظر : إرشاد الفحول نفس الطبعة : ٣٥٢ .

(٤) تاريخ التشريع الإسلامى : لمحمد الخضرى بك ، ص : ٩٥ ، ٩٦ ، ط المكتبة التجارية ، مصر .

أخرج البخارى ، ومسلم ، وغيرهما ، عن طارق بن شهاب قال : قالت اليهود لعمر : إنكم تقرؤون آية فى كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا ، قال وأى آية ؟ قالوا : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] . قال عمر : والله إنى لأعلم اليوم الذى أنزلت فيه على رسول الله ﷺ والساعة التى نزلت فيها ، نزلت على رسول الله عشية عرفة فى يوم جمعة (١) .

إنه يعلم اليوم ، والساعة ، والمكان الذى نزلت فيه الآية ! وهذا دليل على علمه وحفظه وفهمه .

وكذلك السنة ، فقد كان على جانب عظيم من العلم بها ، لم يكن أحفظ الصحابة لها ، ولكنه كان أكثر فهمًا !

ولا غرابة أنه أول من سنَّ التثبت فى الرواية ، وحكاياته فى ذلك كثيرة ومشهورة منها : قصة استئذان أبى موسى الأشعرى وروايته الحديث فى الاستئذان وما جرى له مع عمر (٢) .

وأما علوم العربية فإنها لم تدون إلا بعد عمر ، ولكن عمر كان فى القمة منها من فهمها وتطبيقها ، فلقد كان ينقد الشعر ، بل يحفظه ويوصى بحفظه .

وكان يعاقب من يلحن ، فمن لحن مرة فعقابه سوط ، كتب بذلك إلى أبى موسى الأشعرى أن يؤدب كاتبه ويضربه سوطًا على لحنه (٣) .

وأصول الفقه الذى اشترط علماؤه على المجتهد أن يكون عالمًا به ، لم يكن قد دُوِّن فى عهد عمر ، ولكنه كان فوق هذا العلم ، بل إننا نجد فى اجتهادات عمر ما يجعلنا نقول : إنه أول من وضع قواعد أصول الفقه ، ولا يقلل من ذلك أن هذه القواعد لم تكتب فى عهده ، أو لم يأمر بكتابتها .

أما الشروط التى لا أستطيع أن أجعله فوقها ـ ولو أنه قد بلغ القمة فيها

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١/ ٩٧ ، ٨ / ٢٠٣ بألفاظ مختلفة ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٥٣ ، ط أولى ، المطبعة المصرية بالأزهر .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤/ ٣٢ ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١/ ٦٠ ، ط دار إحياء التراث العربى : للإمام أبى عبد الله شمس الدين الذهبى ت ٧٤٨هـ .

(٣) الإسلام والحضارة العربية ، ٢/ ١٣٥ : لمحمد كرد على .

بالنسبة لغيره من بعده ـ فهى :

١ ـ بالعقل .

٢ ـ العلم الكامل بنصوص الكتاب والسنة .

العقل :

لقد سبق لنا أن أثبتنا عبقرية عمر بشهادة رسول الله ﷺ الثابتة ، وصفاته وأفعاله رضي الله عنه .

ورأينا أن من معانى العبقرية «بلوغ الشىء نهايته» ، و«الكامل فى كل شىء»، وإذًا فعمر رضي الله عنه قد كان يحمل عقلاً عظيمًا نتجت منه تلك العبقرية الفذة ، ولكننا ننزله منزلته ، ولا نجعله فوق ذلك ، فليس نبيًا ولا معصومًا .

العلم :

ولقد بلغ شأوًا بعيدًا فى هذا الميدان يشهد له بذلك رسول الله ﷺ وصحابته ، وتشهد له اجتهاداته وأولياته التى بين أيدينا ، وتشهد له فتاواه .

قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم شربت ـ (يعنى اللبن) ـ حتى أنظر إلى الرى يجرى فى ظفرى أو فى أظفارى ، ثم ناولت عمر » . قالوا : فما ناولته يا رسول الله ؟ قال : « العلم » (١) .

وقال ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم فى الأمم محدثون ، فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر » (٢) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض فى كفة ، لرجح علم عمر بعلمهم ، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم (٣) .

فهذه الأحاديث والآثار ذات دلالة واضحة على مبلغ علم عمر وأهليته للاجتهاد .

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٧/ ٣٦ . (٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٧/ ٤٠ .

(٣) تأريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ١٢٠ وقال : أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والحاكم ، وهناك أقوال كثيرة للصحابة والتابعين حول هذا المعنى، كقول حذيفة رضي الله عنه : كأن علم الناس كان مدسوسًا فى حجر عمر، المرجع نفسه .

المبحث الثامن

نماذج من اجتهادات عمر رضي الله عنه

لقد أثبتنا ـ فيما قدمنا ـ عبقرية عمر رضي الله عنه وأهليته للاجتهاد ، ونود هنا أن نأتى بنماذج من اجتهاداته لا أن نثبت أهليته للاجتهاد ، فإن ذلك قد ثبت بما قدمنا من نصوص تشهد له بموافقة القرآن لرأيه ، ونصوص تشهد بعلمه ، وأخرى بعبقريته ، وأخرى بأنه محدث وملهم !

ولا شك أن اجتهاداته كثيرة تضيق بها الأسفار ، بدأت من أول يوم أسلم فيه، وانتهت فى آخر يوم من حياته رضي الله عنه .

نعم لقد بدأ اجتهاده فى الإسلام بتقديم رأيه لرسول الله ﷺ أنهم ما داموا على الحق وقريش على الباطل ، فلماذا سيبقون مختفين بإسلامهم وما يحملونه من حق ونور، ورأى أنه لابد من الظهور وإغاظة أعداء الإسلام،ووافقه رسول الله ﷺ على هذا الاجتهاد ، وظهر المسلمون مجتمعين فى صفين متحدِّين جموع قريش الكافرة (١) ، وهذه أولية لعمر ظهرت مع أول يوم أسلم فيه وانتهى آخر يوم من حياته باجتهاد للإسلام والمسلمين لم يسبق إليه أيضًا ، وهو جعله الأمر شورى فى ستة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم أهل ؛ لأن يكون خليفة من بعد عمر للمسلمين (٢) .

وسأعرض هنا لنموذجين من اجتهاداته رضي الله عنه :

الأول : فى حضرة رسول الله ﷺ ، وهو اجتهاده فى أسرى بدر .

والثانى : فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه ، وهو اجتهاده فى جمع القرآن .

---

(١) انظر : سمط النجوم العوالى ٢/ ٣٦٣ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٧/ ١١٤ ـ ١٤٤ .

الأول : رأى عمر فى أسرى بدر :

وقعت غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة فى رمضان ، وسمى يومها يوم الفرقان ، انتصر فيها الحق على الباطل بانتصار المسلمين على أعدائهم ـ أول انتصار فى أول معركة بين الحق والباطل .

تمثّل انتصار المسلمين على المشركين فى بدر بقتل صناديدهم ، وأسر الكثيرين منهم، وكانت مسألة الأسرى جديدة لم ينزل بيان الحكم فيها بعد .

واستشار رسول الله ﷺ كبار أصحابه فى ذلك وقال : « ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله : قومك وأهلك ، فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك وقاتلوك قدمهم فاضرب أعناقهم » (١) .

وفى رواية أنه زاد : وأن الله أغناك عن الفداء ، مكّن عليّا من عقيل ، وحمزة من العباس ، ومكنّى من فلان ـ نسيب له ـ فنضرب أعناقهم (٢) .

وإذًا فقد كان رأى أبى بكر أن يعفو رسول الله ﷺ عنهم ويأخذ منهم الفداء ، وكان رأى عمر أن يقتلوا . فأخذ رسول الله ﷺ برأى أبى بكر . ونزل القرآن : ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾** ﴾ [الأنفال] .

فأنزل الله القرآن موافقًا لرأى عمر .

قال عمر رضي الله عنه : وافقت ربى فى ثلاث : فى مقام إبراهيم ، وفى الحجاب، وفى أسارى بدر (٣) .

---

(١) فتح القدير : للشوكانى ٢/ ٣٢٦ .

(٢) الكشاف: للزمخشرى: أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ت ٥٣٨هـ ٢/ ١٦٨ . وانظر : سمط النجوم العوالى ٢/ ٣٦٩ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/ ١٦٧ .

الثانى : جمع القرآن فى عهد أبى بكر :

لعمر فى خلافة أبى بكر ﷺ اجتهادات كثيرة مسددة منها : إدراكه لأهمية جمع القرآن ، فلقد كان جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ هو حفظه فى الصدور، وكتابته على الرقاع، والعُسُب، واللخاف، والكرانيف ، والأقتاب [1] . ولم يجمع فى كتاب واحد يسمى مصحفًا .

وفى عهد أبى بكر ﷺ حصلت حروب الردة ، وكانت أقساها وأمرّها حرب اليمامة ، وانتصر الإسلام والمسلمون ، وقضى على مظاهر الردة ، واستشهد من المسلمين الكثير ، وفيهم كثير من القراء .

وهنا ظهرت فطنة عمر وذكاؤه وعبقريته ، واهتمامه بالقرآن ، وخوفه من ضياعه ، فسارع إلى الخليفة الأول ـ أبى بكر ﷺ ، وأبان له رأيه وهو : أنه لابد من جمع القرآن نظرًا لما قد ذهب من حملة القرآن وحفاظه .

وذعر أبو بكر لهذا الرأى ؛ إذ كيف يفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ، ولم يزل به عمر حتى أقنعه برأيه ووجاهته .

وانشرح صدر أبى بكر لرأى عمر ، وأرسل إلى زيد بن ثابت الصحابى الجليل ، والحافظ المجيد ، والثقة الأمين ، وكلَّفه بجمع القرآن وأقنعه برأى عمر وبما انشرح إليه صدر أبى بكر ، واقتنع زيد ، وانشرح صدره لهذا الرأى والأمر، وبدأ بالجمع وتم ذلك ، وكانت هذه منة وفضلاً من الله على المسلمين بحفظ كتابهم ؛ إذ حفظ لهم أصل دينهم ، والمصدر الأول للتشريع ، وقد تكفل بذلك ـ سبحانه ؛ إذ يقول : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (٩) ﴾ [الحجر] .

ولقد كان عمر سببًا لهذه النعمة .

الثالث : الجمع الثانى للقرآن الكريم :

أخرج البخارى، عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلىَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة،

---

(١) الرقاع : جمع رقعة من الجلد أو غيره وهى ما يكتب عليها. والعسب : جمع عسيب وهو جريد النخل. واللخاف : الحجارة البيض. والكرانيف : أصول قضبان النخل التى تبقى على الجذع. الأقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه : ترتيب القاموس المحيط : للطاهر أحمد الزاوى مفتى ليبيا سابقًا ، ط ٢ عيسى الحلبى .

وعنده عمر ، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس ، وإنى لأخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، إلا أن يجمعوه ، وإنى لأرى أن يجمع القرآن ، قال أبو بكر : فقلت لعمر : كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى، فرأيت الذى رأى عمر، قال زيد : وعمر عنده جالس لا يتكلم .

فقال أبو بكر : إنك شاب عاقل ، ولا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه [1] .

وبدأ زيد بن ثابت فى مهمته الشاقة ، معتمدًا على المحفوظ فى صدور القراء، والمكتوب لدى الكتبة ، وبقيت تلك الصحف عند أبى بكر رضي الله عنه حتى توفى ، ثم صارت بعده إلى عمر ، وظلت عنده حتى مات ، ثم كانت عند حفصة ـ ابنته ـ صدرًا من ولاية عثمان حتى طلبها عثمان من حفصة » [2] .

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٩/ ١٠ ، المطبعة السلفية .

(٢) التشريع والفقه فى الإسلام : الشيخ الأستاذ مناع القطان ، ص ١٠١ ، ط أولى ، مطبعة التقدم .

المبحث التاسع

فى توليه الخلافة ، وأهم أعماله فيها ؛ استشهاده ، جعله الأمر شورى فى ستة

خلافة عمر الفاروق ذروة سنام تاريخ الأمة الإسلامية المجيد ، وغرة فى جبين التأريخ البشرى كله ؛ ومهما تحدث حولها المتحدثون فلن يستطيعوا أن يظهروها ، ولن يستطيعوا استنفاد كل ما فيها من دروس وعبر كتابة ولا استخلاصًا لما فيها من عبر ومعالم للحكام والمحكومين على السواء .

وتولى عمر للخلافة كان تقديرًا من العزيز العليم لرفع شأن هذه الأمة ولحفظ دين الله ونشره ، ولنشر العدل والإنصاف بين الناس على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم ، فكان مثلاً رائعًا لم يتكرر على مر التأريخ بعده .

ذلك أن عمر نفسه كان فريدًا فى تكوينه جسمًا وعقلاً وإيمانًا ، زاده الله بسطة فى العلم والجسم ، وذلك من أهم مقومات السؤدد ، وهداه الصراط المستقيم ، وحبب إليه الإيمان وزيَّنه فى قلبه ، وجعل الحق على لسانه وقلبه . فكان أهلاً لحمل أعباء الخلافة بعد الصديق ، وكانت الأمة بحاجة لمثله ليكمل مسيرة الدعوة التى خطها رسول الله ﷺ بأمر ربه .

وهيأ الله لعمر قادة وجنودًا لم يوجد مثلهم فى تأريخ الإنسان كله ، كأمثال على بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبى عبيدة ، والنعمان بن مقرن ، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبى سفيان، وغيرهم كثير . . . تلك ثلة رباها رسول الله ﷺ وزكاها ، وجاء أبو بكر فكان جديرًا بالإمارة عليها بل لا يستحقها غيره قبله من الصحابة أجمعين .

ثم استلمها الفاروق ولم يختلف اثنان عليه ـ فيما أعلم ـ وما أُثر بأن

أحدهم [1] راجع أبا بكر فى استخلاف عمر ليس طعنًا فيه ولكن خوفًا من شدته ولا يعد ذلك خروجًا ولا مخالفة ؛ لأنه واحد اقتنع بعد إقناع أبى بكر ﷺ له .

ولم تكن خلافة الفاروق ملكًا جبريًا ، ولا عضوضًا ظالمًا ، ولم تكن فلتة جاءت على عجلة من الأمر ، ولم تكن أيضًا معتمدة على استخلاف الصديق له فقط ، بل إنه استعمل الشورى قبل أن يستخلف فاستشار رجالاً شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وضم إليهم رجالاً من المهاجرين والأنصار .

استشار عبد الرحمن بن عوف فقال : هو أفضل من رأيك فيه ؛ ثم استشار عثمان بن عفان فقال : أنت أخبرنا به ، فقال : وأيضًا ، فقال : علمى به أن سريرته خيرٌ من علانيته، وأن ليس فينا مثله، وشاور معهما سعيد بن زيد وهو من المهاجرين وممن شهد لهم رسول الله بالجنة ، وشاور أسيد بن حضير وهو من كبار الأنصار ومن السابقين إلى الإسلام حين وصل الإسلام المدينة بدعوة مصعب بن عمير فقال أسيد : هو أعلم للخير بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط ، وسريرته خير من علانيته ، ولن يلى هذا الأمر أحدٌ أقوى عليه منه .

وشاور غيرهم من المهاجرين والأنصار [2] .

بعد ذلك كتب أبو بكر عهده إلى عمر فبايع الناس أجمعون وهم يعرفون من هو عمر ! فكان ذلك توفيقًا من الله سبحانه وتعالىَ لأبى بكر حيث اختار عمر وشاور فيه ورحمة بأمة محمد ﷺ ،قال عبد الله بن مسعود: أفرسُ الناس ثلاثة، أبو بكر فى عمر، وصاحبة موسى حين قالت: استأجره ، وصاحب يوسف [3] .

---

(١) روى أن طلحة بن عبيد الله جاء إلى أبى بكر وقال له : ماذا أنت قائل لربك حين يسألك عن استخلافك لعمر وأنت تعلم شدته وأنت فينا فكيف إذا غبت عنه ؟ أو كما قال ، فرد عليه أبو بكر قائلاً : أبالله تخوفنى إذا لقيتُ ربى فسألنى قلت : استخلفت على أهلك خيرَ أهلك .

انظر : الكامل لابن الأثير ٢/ ٤٢٥ ، ط بيروت ١٣٨٥هـ .

وقيل : كان معه علىّ أيضًا فقال لهما ذلك الرد. انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٧٤ ، ط بيروت .

(٢) انظر : تأريخ عمر لابن الجوزى ص ٦٨، ٦٩، وتهذيب الأسماء واللغات للنووى ـ القسم الأول ٢/ ١١ .

(٣) تأريخ عمر لابن الجوزى ص ٧٠ ، وصاحب يوسف هو الذى كان من أهل امرأة العزيز ، فقال : إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين إلخ الآية ، وقيل : إنه كان طفلاً. انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٧ .

تلك هى طريقة اختياره (خليفة) بالشورى والعهد من أبى بكر .

أهم أعماله فى خلافته :

لعمر فى خلافته أعمال كثيرة جليلة ـ لا تُحصى ـ لو أردتُ ـ ولا تُستقصى ـ لو بذلتُ كل جهدى ـ ذلك أن مدة خلافته كانت أكثر من عشر سنين ، كل سنة حقق فيها للمسلمين والإسلام ، مكاسب كثيرة بل كل يوم كان المسلمون يزدادون قوَّة وعزًا ، ويزداد الإسلام انتشارًا وظهورًا .

حقق فى سنيه العشر أمورًا لم تحدث من قبل ولا من بعد نذكر بعضها :

١ ـ تحطيم أعظم دولتين فى الأرض من دول الكفر والطغيان هما فارس والروم ؛ فقد أنهى دولة كسرى الفرس إلى الأبد ونشر فيها الإسلام مكان الكفر ، والعدل مكان الظلم ، والمساواة بين الناس بدلاً من استعباد طائفة لجموع الناس .

وقصَّر دولة قيصر وأخرجها من كل الشام ومصر وشمال أفريقيا .

٢ ـ وضع التأريخ الهجرى للأمة الإسلامية ، وكانت قبل ذلك تؤرخ بالأحداث الشهيرة في تأريخ العرب كعام الفيل ، وحرب الفجار . فوضع عمر التاريخ من هجرة المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة ، وسبب ذلك أنه رفع إلى عمر صك محله في شعبان ، فقال عمر : وأى شعبان هو ؟ الذى مضى أو الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه . ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال قائل : اكتبوا على تأريخ الروم ، فقيل له : إنه يطول ، فإنهم يكتبون من عهد ذى القرنين ؛ وقال قائل : اكتبوا على تأريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة ، فوجدوه قد أقام بها عشر سنين فكتب أول التأريخ على هجرة رسول الله ﷺ (١) .

٣ ـ جمع الناس فى صلاة القيام برمضان ، وكانوا قبل ذلك يصلون أوزاعًا متفرقين ، فجمعهم على إمام واحد فى مسجد رسول الله ﷺ وجعل قارئين : قارئًا يصلى بالرجال وقارئًا يصلى بالنساء (٢) .

---

(١) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٧٧ .

٤ ـ لما كثرت الفتوح وكان أهم الأرض المفتوحة أرض العراق أوقف قسمة الغنائم من الأرضين ، فمسحها مسحًا دقيقًا (قاس الأرض بمقياس معين) ووضع عليها الخراج [١] والجزية على جماجم أهل الذمة فيما فتح من البلدان [٢] . وكان فى ذلك مصلحة كبيرة للمسلمين ، إذ إن عمر نظر لما بعد الفتوح وهذه الغنائم ، فإنه إن توقف الفتح والغنائم فبماذا يزود الجند بما يحتاجونه من نفقات ، فالأولى أن تبقى بيد أهلها لتدر شيئًا من خراجها للدولة ليعود بالنفع على الجند وعلى جميع المسلمين .

٥ ـ قسَّم الدولة إلى ولايات حيث جعل لكل ولاية واليًا وأعطاه صلاحيات كثيرة ؛ ليُسيِّر دفة الحكم فى تلك الولاية دون الرجوع إليه إلا فى الحالات الضرورية ، وعيَّن لكل ولاية قاضيًا غير الوالى وهذا لم يكن من قبل [٣] .

٦ ـ دون الدواوين ، حيث جعل سجلاً خاصًا بالجند والناس أجمعين من المسلمين، وكتب مع الأسماء مقدار العطاء ، وفاضل بين الناس بحسب أفضلياتهم فى الإسلام [٤] .

٧ ـ وأخرج اليهود والنصارى من كل جزيرة العرب ذلك أن هذه الجزيرة لا يجتمع فيها دينان [٥] .

٨ ـ وآخر حسنة عملها بعد قتله قبل أن تفضى روحه إلى بارئها أن جعل الأمر شورى فى ستة ممن مات عنهم رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، بقية العشرة المبشرين بالجنة ، وأخرج منهم سعيد بن زيد بن نفيل لأنه كان قريبه [٦] !

---

(١) الخراج هو : الإتاوة. الجمع : أخراج. انظر : ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٣٢ .

(٢) انظر : تأريخ عمر لابن الجوزى ص ٧٧ .

(٣) انظر فى هذا : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٧٨ ، وعمر بن الخطاب لسليمان الطماوى ص ٣١٤.

(٤) المرجع السابق (تأريخ عمر لابن الجوزى) ص ٧٨ .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة ، وعمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة للدكتور سليمان الطماوى ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ط ثانية ١٩٧٦ مصر .

(٦) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٤٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للنووى جـ ٢ من القسم الأول ص ١٣ ، والبداية والنهاية ٧/ ١٣٧، ١٣٨ .

لم يلهه الموت عن التفكير فى مستقبل الأمة ففكر مليًا فى الطريقة التى اتخذها رسول الله ﷺ وهى أنه لم يستخلف، والطريقة التى اتخذها أبو بكر رضي الله عنه وهى أنه استخلف بعد المشاورة ، فلم يستطع اختيار إحدى الطريقتين ذلك أنه يعلم أن رسول الله ﷺ خلَّف أصحابه وفيهم أبو بكر والكل يعلمون فضله ومنزلته بينهم فلا خوف من اختلاف الأمة ، وفيها مثل أبى بكر المعروف بفضله ومنزلته عند رسول الله ﷺ ؛ وأبو بكر استخلف لأنه كان يعتقد أن عمر أفضل الموجودين من بقية أصحاب رسول الله ﷺ ، ولم يكن قومه ينافسون على الزعامة كبنى أمية وبنى هاشم وبنى مخزوم فى قريش . فاستخلف وهو مطمئن أن عمر لها ولا يدانيه أحد . أما هو فإنه لو شاور فلا شك أن الأمة كانت ستنقسم فى رأيها بين على وعثمان ؛ إذ كان يختلط على كثيرين أيهما أفضل وأيهما أولى؟ ولو استخلف لكان الأمر كذلك سيؤدى إلى خلاف متوقع ولو بنسبة قليلة ، فرأى أن يجعل الأمر فى ستة : عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ، رسم لهم نظامًا يسيرون عليه فى انتخاب الخليفة حيث حدد المدة التى يجب أن ينتهوا فيها ، وعين رجالاً يشرفون على الانتخابات ويراقبون من لا يقبل الأكثرية فى الأصوات فيضربوا عنقه ، ووكل بذلك أبا طلحة الأنصارى مع خمسين من أصحابه [1] ، وعين إمامًا للصلاة مدة ثلاثة أيام من غير الستة الموصى إليهم وهو صهيب بن سنان الرومى [2] .

وهكذا لقى عمر ربه راضيًا مرضيًا شهيدًا معتدى عليه من رجل مجوسى هو أبو لؤلؤة ، وهو يصلى صلاة الصبح إمامًا ، فحمد الله أن قتله رجل لم يسجد لله سجدة ، وأن رزقه الشهادة وقد كان يتمناها ولكنه كان يستبعدها إذ كيف يصل إليها وهو فى بيته لم يخرج مع المجاهدين فرزقه الله إياها وأكرمه بها فرضى الله عنه وأرضاه ، وفى أولياته سنجد ـ إن شاء الله ـ ميدانًا واسعًا للتحدث عن بعض ما ذكرنا من أعماله حيث إنها أوليات إدارية أو قضائية ، وغيرها من الأوليات الجديرة بالوقوف عندها وإظهارها فى مكان واحد ليستفيد منها المسلمون ـ إن شاء الله ـ وبالله الإعانة والتوفيق .

---

(١) انظر : تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٥٤ ، وتأريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٥٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق الصفحة نفسها تأريخ عمر لابن الجوزى .